رحلة في رحاب المعاهدات الوثائقية لمناطق إمارة الضالع وملحقاتها..

تفاصيل معاهدة الحماية البريطانية على مشيخة السقلدي بالشعيب عام ١٩٠٣م

"الأمناء" قراءة الباحث/ شايف محمد قاسم الحدي:

تُعَـــدّ هذه المعاهـــدة واحدةً من نصوص معاهدات الحماية والصداقة, التي أبرمتها حكومة عدن البريطانية مع ســلطنات وإمارات ومشـــيخات الجنوب، حيث جاء إبرام هذه المعاهدة البريطانية بعد ترســيم حدود إمارة الضالع ومُلحقاتها مع حكومة اليمن العُثمانيَّة بواســطة اللجنة المشتركة (الأنجلــو ـ تركيــة The — Turkish Anglo)، ابتداءً من وادي بَنَا شــمال شرق الضالــع وانتهاءً بــوادي تُبَن شمال غرب الضالع، والتي بدأت عملها من شهر شباط/فبراير١٩٠١م، حتّى آذار/مــارس ١٩٠٣م، كــما جاء في التقريــر الذي أعدَّه (الجــنرال بلهام جيمــس ميتلانــد Pelham James Maitland)، المقيــم الســياسيّ في عدن تحت وثيقة رقم:(FO ٢١/٤١٦) المرفــوع إلى وزيــر شــؤون الهند البريطانية المستر برودیك المرفق (٢) بتاريــخ ١٠ حزيران/يونيو ١٩٠٤م (سرّي للغاية)؛ وهذه المعاهدة تدخل ضمن المعاهدات المانعــة الأبدية التي أبرمتها الحكومة البريطانية مع سائر إمارات وسلطنات ومشيخات الجنوب، فقــد وضعت مشــيخة الســقلدي تحت حماية صاحبــة الجلالة الملكة الإمبراطورة, وســوف تصبح من الآن فصاعداً تحت الحماية البريطانية.

وقد هدفت السياســة البريطانية من خــلال توقيع هــذه المعاهدة إلى تقوية نفوذهــا في المناطق الداخلية لعــدن بمــا كان يُعــرف بـ(القبائل التســع الخاضعة لســلطة حكومة عدن البريطانية), وإبعاد النشــاطات والتحرشات المســتمرة (العُثْمانيَّة ـ الزيدية) عن حدود المحميات الغربية (المناطق الداخليــة لعدن), بالإضافة إلى توفير قدر كبير من الحماية لها, والذي بدأ يظهر بشــكل واضح على حدود إمارة الضالع ومُلحَقاتها، والتي كانت أوَّل إمارة جنوبية تعقد معاهدة حماية وصداقــة مع التاج البريطاني في عهد الأمــير علي بــن مقبل بن عبدالهادي حســن الأمــيري في ٢ تشرين الأول/أكتوبر ١٨٨٠م.

أمّا هدف شــيخ بلاد الشعيب من هذه المعاهدة، فــكان الحصول على حليف خارجي قوي يضمن له حماية حــدود بلاده من الغــزو (العُثماني ـ الزيدي), بعد أن أدرك الشيخ السقلدي خطورة الأمر وخاصة بعد التهديدات السابقة للعُثمانيين والزيود باحتلال أراضي مشيخته, وأراد أن يكوّن علاقة سياسيَّة قوِّية مع حكومة بريطانيا, ومن هُنا أدرك أنه لابدّ من عقد معاهدة مع بريطانيــا للحد من تلك التهديدات وللإســتفادة من الدعــم والحماية البريطانية, حيث تنصّ الوثيقة على أن يوافق شيخ الشعيب وورثته وخلفاؤه وكافة قبيلته بالامتنــاع عن الدخول في أيّة مراسلة أو اتفاقية أو معاهدة مــع أيّة دولة أو حكومــة أجنبيَّة، إلاّ بعد اطلاع الحكومة البريطانية وأخذ موافقتها عــلى تلك المعاهــدة التي بينهما.

وفي هذا السِّــياق نورد إحدى أهمّ المعاهدات الوثائقيَّــة التاريخيَّة التي وقّعَتهــا حكومة التاج البريطاني مع مشيخة الشعيب بعد عدة معارك بين قبائل الضّالع والشّــعيب ويافع مع القوَّات العُثمانيَّة والزيدية الغازية التي تكرَّرَت على حــدود الضالع منذ بداية العقد السّابع من القرن التّاسع عشر، وكانت هذه المعاهــدات والاتفاقيات ملزمة لجلالــة الملكــة الإمبراطورة بحماية حدود محمياتها الغربيَّة من اعتداءات العُثمانيــين والزيود، حيث جاءت نصوص المعاهدة بعد الديباجة على النحو التالي:

معاهدة شــيخ قبيلة الشــعيب (السّقالد) في ٥ كانون الأول/ديسمبر ســنة ١٩٠٣م التي تــمَّ توقيعها مع جلالة الملكة الإمبراطورة:

مضمون الوثيقة التاريخيَّة

إنَّ الحكومة البريطانية والشّــيخ علي مانع السقلدي، شيخ بلاد الشّعيب رغبــةً منهما في الارتبــاط بعلاقات السّــلم والصّداقــة, فــإنَّ الحكومة البريطانية قد ســعت وعيَّنت الجنرال بلهام جيمس ميتلند والي عدن، لعقد معاهدة لهذا الغــرض، وإن (الجنرال بلهام جيمس ميتلند Pelham James Maitland)، والشــيخ عــلي مانع السقلدي المشــار إليه أعلاه قد اتفقا على ذلك وعقدا المعاهدة التّالية:

المادة الأولى:

ســتعْم الصَّداقة ويَسُــوُد السِّلم جميــع العلاقــات الكائنــة بــين البريطانيين وأهل الشعيب وسيكون لكل من الرّعايــا البريطانيين وقبائل الشعيب الحق بحُرِّية دخول بلاد الآخر دون أنْ يلحق بهم أيّ أذى؛ بل يعاملون باحترام في كل وقت وفي كل مكان, وسيزور مشــائخ الشعيب عدن متَى شــاءوا فيعامَلون باحترام ويُعطون رُخَصاً لحمل أسلحتهم.

المادة الثّانية:

ونــزولاً عند رغبة الشــيخ علي مانع السّقلدي شــيخ الشعيب تتعهد الحكومــة البريطانيــة بوضع بلاد الشــعيب ومُلحقاتهــا الكائنة تحت ســلطته وداخل حدوده تحت حماية جلالة الملكة الإمبراطورة.

المادة الثّالثة:

يوافق الشيخ علي مانع السّقلدي ويُعد بالأصالة عن نفســه وبالنيابة عن أقربائه وورثتــه وخلفائه وكافة قبيلته بالامتناع عــن الدّخول في أيّة مراسلة أو اتفاقية أو معاهدة مع أيّة دوّلة أو حكومة أجنبيَّة, إلا بعد اطلاع الحكومة البريطانية وأخذ موافقتها عــلى ذلــك، وأوعد إضافــة إلى ذلك بإعطاء إنذار فوري لوالي عدن أو لأيّ ضابط بريطــاني آخر عن أيّة محاولة من أيّة دوّلة للتعرض لأراضي الشّعيب أو ملحقاتها.

المادة الرابعة:

يتعهد الشيخ علي مانع السقلدي بالأصالــة عن نفســه وبالنيابة عن أقربائه وورثته وخلفائه وكافة قبيلته إلى الأبد بأنْ لا يتنازل أو يبيع أو يسلم أو يرهن أو يؤجر أو يتصرّف أو يعطي بــأيّ طريقة كانت بلاد الشــعيب أو ملحقاتها أو أيّ جزء منها لأيّة دولة أو حكومة أو لأيّ شخص عدا الحكومة البريطانية.

المادة الخامسة:

ويُعَدّ الشيخ علي مانع السقلدي, إضافة إلى ذلك بالأصالة عن نفســه وبالنيابة عن أقربائه وورثته وخلفائه وكافة قبيلته بإبقــاء كافة الطّرقات داخل بلاده مفتوحــة وأن يحمي كل المســافرين إلى عدن والعائدين منها بقصــد التجارة – ولقــاء ذلك توافق الحكومة البريطانية على دفع معاش قدره عشرة ريــالات له ولخلفائه من بعده.

المادة السادسة:

يسري مفعــول هــذه المعاهدة من هــذا التّاريخ وإشــعاراً بذلك لقد وقع عليها أدناه وختمها الأشــخاص المختصون في ٥ كانون الأول/ديسمبر ١٩٠٣م.

شخصيَّات المعاهدة

١. الإمضــاءات: الجنرال . بي . جي . ميتلند . والي عدن (المقيم السياسيّ البريطاني).

٢. الشــيخ عــلي مانع السقلدي، الشيخ محسن مانع السقلدي.

٣. الشــهود: الكولونيل أيود المســاعد الأوّل لوالي عــدن، أي حبيب (كاتب المســاعد) الكابتن أوبرين مساعد الوالي.

٤. الإمضاء: (اللورد جــورج كــوروزون Lord George Curzon), نائــب الملــك, حاكم الهند البريطانية العام.

لقد صدق سعادة نائب الملك وحاكم الهنــد العام على هــذه المعاهدة في مدينة (فورت ويليام Fort William) في ٥ شباط/فبراير سنة ١٩٠٤م.

٥. الإمضاء: (لويس داين Lewis Dane), سكرتير حكومة الهند – الإدارة الخارجية.